

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

تمظهرات الأنثروبولوجيا في نظرية النحو الوظيفي

The anthropological manifestations in the theory of functional

Kebbouci Hinda هنده كبوسي

university of l'arbi ben mhidi oum elbouaghi جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي

مخبر تعليمية اللغة العربية والنص الأدبي في النظام التعليمي الجزائري: الواقع والمأمول

laboratory of the didactics of the Arabic language and the literary text in the Algerian
educational system: reality and aspirations.

Email : kebbouci.hinda@univ-oeb.dz

تاريخ القبول : 2022-03-27

تاريخ الاستلام: 2022-01-21

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن مواضع التعالق والتداخل بين الحقلين المعرفيين اللساني والأنثروبولوجي؛ ذلك أن مقارنة الظواهر المركبة كاللغات الطبيعية يقتضي اجتماع خبرات علمية، وتقنية من تخصصات عديدة، من شأنها أن تقدم معرفة شمولية، تبرز حقائق الظواهر. ومن هذا المنظور تصبو هذه الدراسة إلى تأكيد التداخل بين الحقل المعرفي، خاصة بين الحقلين المعرفيين اللساني والأنثروبولوجي، كما تتغيا أيضا الكشف عن إسهام الرافد المعرفي الأنثروبولوجي في تخصيب الحقل المعرفي اللساني، وإغناء إوالياته وفرضياته.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات، الأنثروبولوجيا، نظرية النحو الوظيفي، التداخل المعرفي.

Abstract:

The present research paper aims to shed light on the overlapping between the fields of linguistics and anthropology. Furthermore, This connection is due to the complex phenomena of natural languages which requires a combination of scientific and technical expertise from many disciplines. The former provides comprehensive knowledge that highlights the phenomena. On the basis of the aforementioned perspective, this study attempts to confirm the overlap between the cognitive fields, especially linguistics and anthropology.

Keywords: linguistics, anthropology, functional grammar theory, cognitive overlap.

مقدمة:

استفاد اللسانيون الوظيفيون في دراساتهم للغات الطبيعية من إواليات العلوم التجريبية، لإضفاء صفة العلمية على دراساتهم، كما انفتحوا أيضاً على بعض العلوم الإنسانية والاجتماعية، نظراً لما تتوقّر عليه من تفكير نقدي، ونزعة إلى التحليل، والرؤية الشمولية لمختلف الظواهر والسلوكيات الاجتماعية والثقافية، وتأسيساً على ذلك، ستتناول هذه الورقة البحثية مظهرات الأنثروبولوجيا في نظرية النحو الوظيفي، وتبيان مؤشرات تفعيل التحليل الأنثروبولوجي في النظرية الوظيفية، في مقاربتها لمختلف وسائل التواصل عامة، ومقاربة اللغات الطبيعية على وجه الخصوص. وللإجابة عن هذه الإشكالية قسّمت الورقة البحثية إلى أربعة محاور معرفية أساسية، وهي على النحو الآتي:

-المقاربة الوظيفية للغة.

-نسق اللغة ونسق استعمالها: أية علاقة؟

-اللغة ممارسة اجتماعية والمتكلم فاعل اجتماعي.

-الاكتساب اللغوي: الاقتراب من الاجتماعي والنأي عن الفطري.

1-المقاربة الوظيفية للغة:

تصنّف الدراسات اللسانية الحديثة والمعاصرة إلى صنفين رئيسيين: صنف صوري يعنى بوصف وتحليل البنية الداخلية للغة ولا يتعدّها إلى غيرها، وصنف وظيفي يتجاوز إجراء الوصف ليُفسّر بنية اللغة الطبيعية، يربطها بما تؤدّيه من وظائف داخل المجتمعات البشرية.

مادامت النظريات غير الوظيفية (الصورية) والنظريات الوظيفية تمايزان فيما بينهما، فمن الطبيعي أن تختلفا في العديد من المناحي،^(١)

يمكن إجمالها فيما يلي:

1- تتعامل النظريات الصورية (غير الوظيفية) مع اللغات الطبيعية على أنّها نسق مجرد، يؤدّي العديد من الوظائف في مقدّماتها التعبير عن الفكر، في حين ترى النظريات الوظيفية أنّ اللغة نسق مجرد يؤدّي وظيفة التواصل، بالإضافة إلى وظائف أخرى فرعية.

2- تُعنى النظريات الوظيفية برصد خصائص بنية اللغات الطبيعية من خلال ربطها بوظيفتها التواصلية، في حين ترصد المقاربات الصورية خصائص بنية اللغات الطبيعية بمعزل عن سياقات استعمالها.

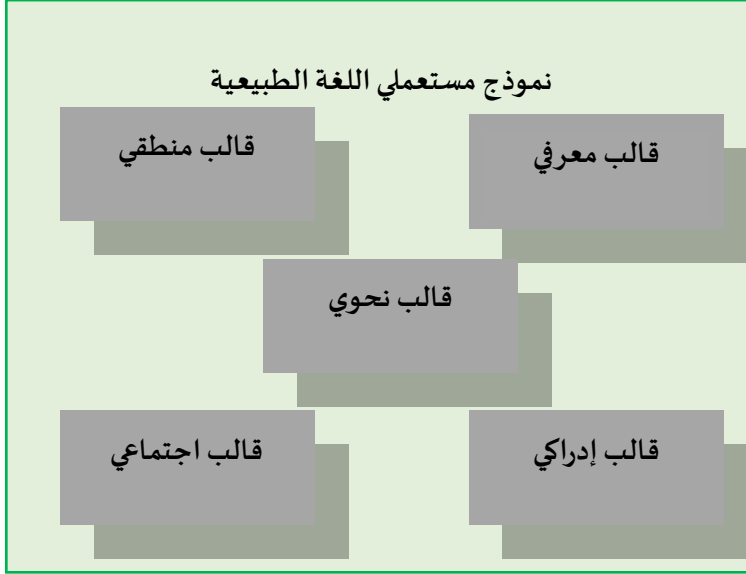
3-موضوع المقاربة الصورية هو اللسان الطبيعي من حيث هو قدرة لغوية أي معرفة المتكلم -السامع- للقواعد التركيبية والدلالية والصوتية، أما موضوع المقاربة الوظيفية -هو اللسان الطبيعي من حيث هو قدرة تواصلية تبليغية- ومعناها مدى معرفة المتكلم للقواعد التركيبية والدلالية الصوتية، ناهيك عن القواعد التداولية التي تمكنه من تحقيق أغراض تواصلية معينة.

4-تفرد المقاربة الوظيفية في جهازها الوصف للغات الطبيعية مستوى يضطلع بالتمثيل للخصائص الممثل لها في المستوى التركيبي-الصرفي، في حين لا يتعدّى دور المستوى التداولي-إن وجد-في المقاربة غير الوظيفية دوراً تأويلياً بالنظر إلى المستوى التركيبي.

تعد نظرية النحو الوصفي ليسمون ديك (Simon Dick)، والتي تبناها أحمد المتوكل، وما تفرّع عنها من نماذج لسانية من أهم النظريات اللسانية المؤسسة وظيفياً (تداولياً)*، والتي تشدد على أنّ الوظيفة الأساسية للغات الطبيعية هي التواصل والتبليغ، بالرغم من إقرارها بوجود وظائف أخرى، إلّا أنه بإمعان النظر في خصائص كل منها يتبيّن أنها جميعاً آلية إلى وظيفة واحدة¹، وهي وظيفة التواصل والتبليغ، ولأدل على ذلك اختزال سيمون ديك وظائف النظرية النسقية الثلاث لهاليداى (Michael Halliday)** (الوظيفة المثالية***، الوظيفة التعالقية**** والوظيفة النصية*****) إلى وظيفة واحدة كون التواصل من منظوره ما هو إلا عملية ذات أبعاد مختلفة، فهو تواصل علاقي بالنظر إلى طبيعة العلاقة بين المتكلم والمخاطب، أو تواصل توجيهي بالنظر إلى محتوى الخطاب، أو تواصل إخباري أو تعبيرى أو استشاري بالنظر إلى القصد من الخطاب².

مما تقدم يتبيّن أنّ اللغة من منظور اللسانيين الوظيفيين لم تعد مجرد أداة للتعبير عن الفكر، بل أصبح ينظر إليها على أنها نشاط اجتماعي وثقافي إنساني بالأساس، يراد به التواصل والتبليغ، مما جعلهم يستنجدون بالأنثروبولوجيين، للعثور على التصوّر المادي للظاهرة اللغوية³، الذي ظلّ مغيباً في الدراسات البنائية بسبب قصور منهجهم -وللإفادة من آليات وصفهم، وطرائق بحثهم الأكثر تركيباً، والتي تتلائم وطبيعة اللغة المركبة والمعقدة. وفي ضوء هذا التقارب بين ما هو لساني وما هو أنثروبولوجي تأسس حوار وجوار منهجي بين الحقلين المعرفيين ولّد "معرفة تخصصية مجاوزة تحاول أنّ تتعدّى العلم بالموضوع إلى الفهم، وأن توازن بين الفكري والعاطفي والمادي"⁴.

وقد صاغ الموظفون نموذج مستعملي اللغة الطبيعية في الشكل الآتي¹¹:



يتضح من هذا الشكل أنه بالرغم من استقلالية مختلف القوالب من حيث مبادئها وإلياتها، إلا أنه لا يُعَدَم تفاعلها فيما بينها، حيث يمكن أن يكون خرج كل مكون دخلاً لغيره من القوالب¹²، أما عن مركزية القالب النحوي بالنظر إلى القوالب الأخرى، فمفتاوتة أهميته تفاوتت المخزون المعرفي للمتخاطبين؛ إذ كلما قلَّ المخزون المعرفي للمتخاطبين كلما بدت الحاجة ملحة للقالب اللغوي، فيكون التواصل باللغة ضرورياً وملحاً، والعكس صحيح¹³.

وقد قسم منظرو نظرية النحو الوظيفي قوالب نموذج مستعملي اللغة الطبيعية إلى فئتين: فئة القوالب الأدوات المكوّنة من القالب النحوي والقالب المنطقي، وتشغل كالات في الإنتاج والتأويل، وفئة قوالب مخازن "والمكوّنة من القالب المعرفي والقالب الإدراكي والقالب الاجتماعي، وهي التي تمدّ القوالب الأدوات بالمعارف التي تحتاجها¹⁴.

إنّ تقسيم الباحثين للقوالب إلى فئتين تقسيم نسبي، إذ إنّ بعض القوالب تقوم بدوري الآلة والمخزون في الوقت ذاته، كالقالب النحوي والقالب البلاغي بالنسبة للنصوص الأدبية، لذلك يصبح من الأورد أن يقال إنّ القوالب ثلاثة أصناف: قوالب أدوات وقوالب مخازن، وقوالب أدوات مخازن¹⁵.

أما الوظائف التي تؤديها هذه القوالب فيمكن إجمالها فيما يلي¹⁶:

عدّ اللغة نشاطاً اجتماعياً وثقافياً إنسانياً يؤدي وظيفة التواصل مؤشراً على تفعيل التحليل الأنثروبولوجي من قبل اللسانيين الوظيفيين، وشكل من أشكال التفاعل الحقيقي والتبادل الفعّال بين الحقلين المعرفيين (اللساني والأنثروبولوجي) للكشف عن جوانب مختلفة من الموضوع نفسه (اللغة الطبيعية) إذ يقرّ الأنثروبولوجيون أنّ "دور اللغة ليس التعبير عن الأفكار، وليس نسخ العمليات الفكرية، بل هو دور عملي في تصرّفات الإنسان⁵"، وما نستخلصه في هذا السياق أنّ التنويه بالدور العملي للغة انبثق عنه تحوّل جوهري في مسار الدرس اللساني وهو البحث في كيفية التواصل باللغة بدل الاكتفاء بالكشف عن خصائصها، مما يجعل الباحث المقارب لها لا يكتفي بوصف الكيفية التي يتبادل بها المتخاطبين الكلام، بل يعتمد إلى تفسير السلوك التواصلية "وتتمثل القيمة المضافة للمقاربة التفسيرية في أن مفاهيمهم شفافة ولا لبس فيها، وكونها تكسب الباحث عدّة مزايا أهمها: الدقة في النسق المفهومي والدقة في النسق الاستدلالي⁶"، وفي إطار المقاربة ذاتها تمّ تحديد مفهوم القدرة التواصلية الذي يتجاوز مفهوم القدرة اللغوية إلى قدرات أخرى تتيح عملية التواصل بين المجتمعات البشرية؛ يستحضرها المتكلم المخاطب أثناء إنتاجه، وفهمه وتأويله مختلف الخطابات.

2. نسق اللغة ونسق استعمالها: أية علاقة؟

لم يكتف اللسانيون الموظفون في دراستهم باللغة بالدقّة، التي توصّلوا إليها جزاء استنادهم إلى العلوم التجريبية، بل تقربوا أكثر من بعض العلوم الإنسانية في مقدمتها الأنثروبولوجيا، رغبة منهم في العثور على التصور المادي للظاهرة اللغوية، وآملين في جعل دراستهم أكثر واقعية⁷. إنّ هذه الرؤية الديناميكية للغة جعلتهم يُغنَوْنَ بنسق استعمال اللغة، كون اللغة "مجموعة من وسائل رمزية تدخل في مكوّنات المجتمع، وفي تصوّرات الأفراد للعالم⁸". ويسعون إلى بناء "نموذج مستعمل اللغة الطبيعية"، وهو جهاز صوري محوسب يصف ويفسّر القدرة التبليغية/التواصلية للمتكلم/السامع، والتي تتضمن ستة قوالب هي: القالب النحوي، والقالب المنطقي، والقالب الاجتماعي، والقالب الإدراكي، والقالب المعرفي، والقالب البلاغي، تتكفل برصد الملكات الخمس⁹: الملكة اللغوية، والملكة المنطقية، والملكة الاجتماعية، والملكة الإدراكية، والملكة المعرفية¹⁰.

المشار إليها أي المدركة من بين عناصر الموقف التواصلية؛ أي مكتبة الجامعة أو مكتبة عمومية...).

د. ولرفع التباس جملة "هات دلائل الإعجاز من المكتبة" من حيث قوتها الإنجازية أي أمر أم مجرد طلب أم التماس؟ يلجأ المخاطب إلى القلب المنطقي، لاشتقاق بنية تحتية فرعية تحمل القوة الإنجازية الواردة، مستعينا بالقلب الاجتماعي الذي يزوده بالمعلومات المتعلقة بالعلاقة الرابطة بين المتخاطبين (علاقة أعلى إلى أسفل أو علاقة تساوي).

مما تقدم يتبين أنّ رصد نظرية النحو الوظيفي للملكات غير اللغوية تنويه بأهمية أطراف التواصل، والأبعاد الثقافية والاجتماعية للقوة للتدرة التواصلية، إذ يستمد المتخاطبان من القلب المعرفي المعارف العامة عن العالم (الواقعي والمتخيل)، المنبثقة من القلب الإدراكي محط تحديد عناصر الموقف التواصلية الآني، ومن القلب الاجتماعي الخلفية الاجتماعية والثقافية والحضارية للخطاب، ومن القلب المنطقي آليات الاستدلال لاشتقاق معارف إضافية، من معارف متوفرة.

إنّ تفعيل التحليل الأنتربولوجي للغة في نظرية النحو الوظيفي يبدو جلياً من خلال الإحاطة بالخلفيات الثقافية والاجتماعية لعملية التواصل، وتذكير بالعلاقة الخالدة بين اللغة والحياة الاجتماعية، إذ بين اللغة والمجتمع مستويات من التأثير المتبادل، فالمجتمع صانع اللغة ومنتجها، واللغة مرآته العاكسة، إذ إنّ الخلفية الثقافية والاجتماعية تساعد المتخاطبيين في دعم المهام التواصلية، بل وتُسهم في استمرارية التواصل وديمومته، "فالمتكلم لا يمكن فصله عن رصيده الثقافي، ومقدرته العلمية التي تتشكل عبر الزمن؛ لأنّ البعد النفسي والتعبير اللغوي يحملان في مضمونهما البعد الثقافي لدى المتكلم"¹⁸.

يكتسي التواصل والخلفيات الثقافية والاجتماعية في نظرية النحو الوظيفي -أهميتهما لارتباطهما ببعضهما؛ ولأنّ "اللغة تصوّر الأشياء دون تغيير"¹⁹، لوضوح المعنى ومباشرته ولكون التواصل ينقل اللغة من أحادية المعنى والمباشرة، إلى تعددية الأداء بين المتكلم والسماع، إنتاجاً وتأويلاً، فلا بدّ أن يتنوع ويتعدّد أداء المتكلم تنوع وتعدّد سياقه الثقافي والاجتماعي وبلاغة خطابه، كما أنّ ثقافة السماع وخلفياته الاجتماعية تسهم في دعم المهام التواصلية، وتشكل من خلالها معاني جديدة يشارك فيها معتمداً على التأويل.

القلب اللغوي: وهو القلب الذي يمكن مستعمل اللغة من إنتاج وتأويل مختلف العبارات اللغوية، في مواقف تواصلية مختلفة.

القلب المعرفي: وهو قلب الذي يتكفل بتخزين المعارف التي ترد إليه من القوالب الأخرى وتنظيمها، واستعمالها في إنتاج أو تأويل العبارات.

القلب الإدراكي: وهو القلب الذي يتكفل باستخلاص معارف من الموقف التواصلية، ومن المدركات الحسية، والتي يخزنها في القلب المعرفي، هدف استعمالها في إنتاج وتأويل العبارات اللغوية.

القلب المنطقي: وهو القلب الذي يُحوّل لمستعمل اللغة الطبيعية من أن يشتقّ معارف إضافية من معارف أخرى، عن طريق قواعد استدلالية تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي.

القلب الاجتماعي: يتكفل القلب الاجتماعي بتحديد الكيفيات التي يتم بها التبليغ، بالنظر إلى الخلفيات الاجتماعية، والقيم الثقافية والحضارية، والتي تطبع توجهات المخاطبين وقناعاتهم، وتحدّد سلوكياتهم وتصرفاتهم، إضافة إلى عوامل أخرى كانتماء المتخاطبين إلى فئة عمرية ما، أو جنس معين، أو طبقة اجتماعية أو ثقافية...

أما عن الكيفية التي تستعمل بها هذه القوالب مجتمعة فقد اقترح أحمد المتوكل مثالا يوضح فيه ذلك مفترضا أنّ هذه العملية تتم على النحو الآتي¹⁷:

- يتلقى المخاطب عبارة لغوية ما (شفويا أو كتابيا)، ولتكن هذه العبارة على سبيل المثال الجملة "هات دلائل الإعجاز من المكتبة".

أ. يتكفل القلب النحوي بتأويل العبارة اللغوية تأويلاً يوصل إلى المعنى اللغوي الصرف؛ أي معاني مفردات العبارة وعلاقتها التركيبية والدلالية والتداولية القائمة بينها.

ب. بالرغم من أهمية المعنى اللغوي الصرف، الذي يبوّج به القلب النحوي، إلا أنّ ما تحيل إليه عبارة "دلائل الإعجاز" لا يأتي إلا باللجوء إلى القلب المعرفي الذي يزودنا بالمعلومة مفادها أنّ ثمة لغويا عربيا كتب مؤلفاً أسماه دلائل الإعجاز، وقد يلجأ إلى القلب الإدراكي كذلك للتعرف على هذا الكتاب من حيث لون غلافه والدار التي طبعته، وتاريخ نشره، وغير ذلك.

ج. ويلجأ المخاطب إلى القلب الإدراكي أو المعرفي (أو إليهما معا) لمعرفة ما تحيل إليه مفردة مكتبة في هذا السياق (المكتبة

الواصف، وطبيعة التمثيل التحتي للخصائص الدلالية والتداولية.

1.1. موضوع الدرس: اقترضت المقاربة الوظيفية في هذه المرحلة على مقارنة قسمين من أقسام الخطاب وهما: الجملة والمركب الاسمي.

2.1. تكوين الجهاز الوصف: يقتصر التمثيل في النموذج الأول لنظرية النحو الوظيفي على التمثيل للمعرفة اللغوية - التي يستخدمها المتكلم- المخاطب في عمليتي إنتاج العبارات اللغوية وتأويلها، دون التمثيل للمعارف الأخرى (غير اللغوية).

3.1. طبيعة التمثيل التحتي للخصائص الدلالية والتداولية: اكتفى المنظرون في هذه المرحلة بالتمثيل لبعض الخصائص الدلالية والتداولية، ورصد تلك الخصائص في مستوى واحد، فلا سلبية تحكم عناصره.

2. النموذج المعياري*: لاحظ منظرو النحو الوظيفي قصورا في النموذج الأول، من حيث موضوع الدرس، وتكوين الجهاز الوصف، وطبيعة التمثيل التحتي للخصائص الدلالية والتداولية، فعملوا على توسعة مجال النحو واعتاد وإليته على النحو التالي:

1.2. موضوع الدرس: لم يكتف اللسانيون الوظيفيون في النموذج المعياري (ديك 1997) بمقاربة النص بالموازاة مع مقاربة الجملة، بل اقترحوا صوغ بنية النص، وإسقاطها على بنية الجملة، على أساس تماثل بنياتها من حيث المكونات والوظائف والعلاقات.

2.2. تكوين الجهاز الوصف: لم يعد التمثيل في النموذج المعياري -نموذج مستعملي اللغة الطبيعية- يقتصر على التمثيل للملكة اللغوية، التي يستخدمها المتكلم- المخاطب في عمليتي إنتاج وتأويل العبارات اللغوية، بل وسَّع التمثيل ليشمل عديد الملكات غير اللغوية كالملكة المعرفية والملكة المنطقية والملكة الاجتماعية والملكة الإدراكية، مع إقرار هذا النموذج بمركزية الملكة اللغوية.

3.2. طبيعة التمثيل التحتي للخصائص الدلالية والتداولية: طال طابع التعددية -في النموذج المعياري- البنية التحتية مصدر الإشتقاق، وذلك على النحو الآتي:

1. تطعيم البنية التحتية بخصائص دلالية وتداولية (سمات إنجازية ووجهية).

2. التمييز بين السمات الدلالية الجّه الوصفية والسمات الدلالية الجّه التسويرية.

تعامل اللسانيون الوظيفيون مع اللغة ممارسة وموضوعا دراسيا في إطارها العام وإطار اللغة العام التواصل؛ إذ إنها ليست إلا نسقا معينا من أنساقه، تتعالق فيه وأنساق أخرى كالصورة والإشارة.

وما دامت اللغة -حسب اللسانيين الوظيفيين تتأسر وباقي الأنساق الأخرى في مكونات عملية التواصل؛ إذ تقوم كل عملية تواصلية -عادة- بين ذاتين (متكلم ومخاطب) أو مجردتين (كاتب وقارئ؛ مؤسسة وجمهور...) ²⁰، وما دامت نظرية النحو الوظيفي قد استكملت مفاهيمها وآلياتها، فقد أبدى الوظيفيون استعدادهم لإحراز كفايتين: كفاية الوصف والتفسير في دراسة اللغة بوصفها موضوعا قائم الذات، بوضع أنحاء كاملة أو أجزاء أنحاء مختلف اللغات، وكفاية الإجراء بتقديم تأطير نظري ومنهجي لمختلف أنساق التواصل اللغوية وغير اللغوية، داخل القطاعات الاجتماعية الاقتصادية والثقافية، في إطار نظرية لسانية واحدة، ويعد ذلك نقلة نوعية في مسار البحث اللساني الوظيفي، الذي أبدى قابلية وإمكانية تسخير آلياته واستثمار نتائجه في المجالات الحيوية ²¹.

بناءً على ما تقدم نخلص أنّ مقاربة النحو الوظيفي للغة نحو مقاربة النحو الوظيفي نبأ على ما تقدم خلص إلى اللغة في إطارها العام التواصل ترتيب عنه أمران: الأول مقاربة مختلف أنساق التواصل اللغوية وغير اللغوية في حقل اللسانيات، وفق تأطير نظري ومنهجي واحد، والأخرى وصل مجال اللغة بالظروف الاجتماعية والثقافية للمتكلمين، بل وربط مجال اللغة بمختلف القطاعات الحيوية في المجتمع، من مؤسسات اجتماعية وثقافية واقتصادية، كخطوة إجرائية في سبيل فك شفرة التواصل بمعينة أساليبه في المجتمع، والكشف عن أهم مشكلاته.

3. اللغة ممارسة اجتماعية والمتكلم فاعل اجتماعي:

سعت نظرية النحو الوظيفي إلى تحريك عجلة المعرفة اللسانية وتطويرها، بتقديم عديد النماذج المتصورة لقدرات المتكلم -المخاطب اللغوي- وغير اللغوية-، التي يستخدمها في عمليتي إنتاج الخطاب وفهمه، منهجة مسارا دائريا ينطلق من الأحادية إلى التوحيد وصولا إلى التوحد، بناء على طبيعة الدرس وبنية النحو وتكوين البنية التحتية للعبارات اللغوية ²².

1. نموذج ما قبل المعياري*: تمثل طابع الأحادية في النموذج ما قبل المعياري في جوانب ثلاثة: موضوع الدرس، وتكوين الجهاز

كاملا أو مركبا اسميًا أو مفردة، شريطة أن تشكل هذه المقولات وحدات تواصلية قائمة الذات²³، وقد ترتب عن هذا التعديل طروح منهجية تخالف المعتقد السائد وهي²⁴:

- أ. الوحدة الدنيا هي الفعل الخطابي وليس الجملة.
- ب. يقوم الفعل الخطابي على ركنين: قوة إنجازية (خبر، استفهام، أمر...) وفحوى يتضمن إحالة وحملًا.
- ج. ليس من الضروري أن يطابق الفعل الخطابي الجملة؛ إذ يمكن أن يتحقق في مركب إسمي أو في عبارة (جملة مضافا إليها أحد أرباضها القبلية أو البعدية)، أو في نص كامل كما هو الشأن في الأمثلة الآتية:

1. أ. من قابلت؟
- ب. صديق طفولة.
2. أ. علي، هنأه مدير المدرسة.
- ب. ما رأيت أجمل منها، زينب.
3. أرسل إلى علي رسالة من البلد الذي يقيم فيه وأجبتة لأطمئنه في حالة الأسرة.
4. تعد الجملة والنص والمركب الاسمي مجرد أطر بنيوية تتحقق فيها وحدات البنية التحتية التداولية والدلالية، وليست خلافا للسائد من الأنحاء، مقولات عميقة وفي سقف الكفائتين التداولية والنفسية لقد قاد التصور الوظيفي نحو العناية التدريجية بالمكون السياقي -من حيث الصّورنة- وتقليص الاهتمام بالمكون البنيوي؛ إذ بدأ نموذج الخطاب الوظيفي لهنخفلد وماكنزي (2008) بوضع نموذج قوامه مكون مركزي، وهو المكون النّحوي، وثلاثة مكونات مصاحبة هي المكون المعرفي، والمكون السياقي، والمكون الإصصاتي، مع تأكيد النموذج على أسبقية التداول على الدلالة، وأسبقية التداول والدلالة على الصرف والتركيب والصّوت، وهو ترتيب يعكس عملية إنتاج الخطاب، حيث إنّ المتكلم ينطلق من القصد إلى الفحوى إلى النطق²⁵، ليفرز التصور الوظيفي فيما بعد نموذجا موسّعا لنموذج الخطاب الوظيفي، عرف بنموذج الخطاب الوظيفي الموسع لمنجزه أحمد المتوكل (2011)، وهو نموذج لا يتكفل برصد الإنتاج والفهم فحسب، بل بالإضافة إلى ذلك بعملية "النقل"؛ أي نقل خطاب ما إلى خطاب آخر، ترجمة أو شرحا أو تفسيراً أو غير ذلك²⁶، وتقديم تصور لمقومات المكون السياقي، وكيفية اشتغاله داخل النموذج ككل²⁷.

يتألف المكون السياقي في نموذج الخطاب الوظيفي الموسع من ثلاثة مكونات فرعية، هي "السياق العام" أو "السياق المقامي"

3. التمثيل للخصائص الدلالية والتداولية، ورصد تلك الخصائص في شكل بنية تحتية متعددة الطبقات، وفق سلمية حيزية.

4. النموذج ما بعد النموذج المعياري^{***}: بذل اللسانيون الوظيفيون جهودهم في توحيد نموذج نظرية النحو الوظيفي، رغبة منهم في تحقيق أكبر قدر ممكن من الاقتصاد والبساطة، وقد طال التوحيد موضوع الدّرس والجهاز الواسف والبنية التحتية.

1.4. موضوع الدّرس: تمّ توحيد الدّرس في النموذج ما بعد المعياري على أساس افتراضين: افتراض إسقاط وافتراض موازاة؛ مفاد الأول تماثل النص والجملة من حيث المكوّنات والعلاقات والوظائف، أمّا الافتراض الآخر فمفاده أنّ ثمة بينة نموذجية للخطاب، تتحقّق بالدرجة المثلى في النص ويتفاوت تحقّقها بدرجات تنازلية من النص وصولاً إلى المفردة.

2.4. الجهاز الواسف: بعدما فرغ منظرو النحو الوظيفي من صياغة نموذج مستعمل اللغة الطبيعية المكوّن من عديد القوالب اللغوية وغير اللغوية، قاموا في النموذج ما بعد المعياري بضمّ تلك القوالب بعضها إلى بعض، وإدماج بعضها في بعض ناهيك عن توحيد الجهاز الواسف للنظرية ليستوعب مقاربة الخطاب بجميع أقسامه وأنماطه.

4.4. طبيعة التمثيل التّحتي للخصائص الدلالية والتداولية: تضمن نحو الخطاب الوظيفي هنخفلد (2004) أربعة مستويات تمثيلية خاضعة للترابعية الآتية: المستوى العلاقي (التداولي)، فالمستوى التمثيلي (الدلالي)، فالمستوى الصرفي -التركيب- (البنيوي)، ثم المستوى الصوتي، محاكاةً لوجهة نظر نفلت (1978)، المتعلقة بمراحل إنتاج العبارة اللغوية من قبل المتكلم، المتمثلة في تحديد القصد وتحديد الفحوى المناسبة للقصد، فصوغ القصد والفحوى في تركيب مناسب، ثم أخيراً تحقيق هذا التركيب نطقاً أو كتابة.

كان لعلاقة نظرية النحو الوظيفي بالأنثروبولوجيا أثراً إيجابياً في تطوّر اللسانيات الوظيفية -التي تُعنى بدراسة اللسان البشري، من حيث كيفية اشتغاله-، إذا انفتح البحث اللساني على مسائل كانت مقصاة من الدراسة، ومن هذه المسائل تلك المتعلقة بمفاهيم من قبيل: الكلام، والسياق، فقدّم الوظيفيون تصوّراً بديلاً لموضوع الدرس الوظيفي القائم على فكرة الانتقال من الوحدة الدنيا للخطاب من الجملة إلى الفعل الخطابي (*discourse act*)، سواء أكان الفعل الخطابي جملة أو نصاً

"أن ينظر إلى الدور الفعّال للدلالة مع مراعاة التداول، كما ينظر إلى الدور الفعّال للتركيب مع احترام التداول، فلا مجال لاستقلال التركيب، بل على العكس يعدّ الوصل بينهما من ملزمات الشفافية.³¹"

وقد قاد هذا التوجه إلى تفسير الكليات اللغوية، كونها مشتقة من كليات الاستعمالات، التي تخضع لها اللغة في المجتمعات الإنسانية، إلى تمكين الوظيفيين من تجاوز متطور التوليد بين التحولين للغة، على أنها قدرة بشرية فطرية، إلى تفسيرها بواسطة تطوّر الحاجات التواصلية للطفل، والمهارات المكتسبة في المجتمع ذلك أنّ الطفل لا يكتسب قدرة لغوية محضة بل قدرة على التواصل مع محيط الاجتماعي، إذ يستضمر الطفل أثناء عملية الاكتساب اللغوي نسقين متربطين نسق اللغة ونسق استعمالها؛ نسق اللغة الممثل في أصواتها وقواعد صرفها وتركيبها، ونسق استعمالها الممثل في الأعراف المتحكمة في استعمال اللغة في مقامات التواصل؛ إذ يستضمر الطفل أثناء عملية الاكتساب قواعد لغته، ويستضمر في الوقت ذاته ما يحكم استعمالها، في مقامات التواصل، كأن يعتمد المتكلم تقديم أحد مكونات الجملة إلى الموقع الصدر، قاصداً بذلك تصحيح إحدى معلومات المخاطب³²، فمقاربتهم حينئذ مستندة إلى الأساس الاجتماعي أولاً وإلى الجانب النظري ثانياً ولئن كان الوظيفيون بافتراضهم أنّ اللغة تستند إلى أساس اجتماعي فطري، فلم يُعَدّ يكتفي بالجانب البيولوجي -كما في التصور التحويلي التوليدي- بل أصبحت تصاغ افتراضات حول كيفية تفاعل الجانب البيولوجي والجانب الاجتماعي؛ مما فتح المجال في البحث اللساني للاهتمام بالأساس الاجتماعي، فإنّه من هذا الوجه عود إلى الأساس نفسه الذي انطلق منه الأنثروبولوجيون، حينما عجزوا عن تفسير السلوك البشري بناءً على خصائص الفيزيولوجية، وأوصلهم ذلك إلى طريق مسدودة، مما ألزمهم إلى دراسة التحولات التشريحية والفيزيولوجية في ضوء ظهور الحياة الاجتماعية الثقافية واللسان ومنظومة القيم³³.

الخاتمة:

نخلص في نهاية الورقة البحثية إلى جملة من النتائج نجملها في الآتي:

— انفتحت نظرية النحو الوظيفي -على اختلاف نماذجها ومستويات منجزها البحثي- على العقل المعرفي الأنثروبولوجي،

و"السياق المقالي" فالسياق العام هو الخلفية الاجتماعية الثقافية للمتخاطبين (جغرافيا وطبقيا وسنّا وغير ذلك من المحدّدات ذات الصلة)، والسياق المتعامي هو مجموعة العناصر المتواجدة في الموقف التواصل، شريطة أن يكون لها تأثير في هذه العملية إنتاجاً وفهماً، أما السياق المقالي فهو محط رصد وتخزين ما سبق العملية التواصلية من خطاب ملفوظ مكتوب. ويضطلع المكوّن السياقي -بمكوّناته الثلاثة- بدورين دور مباشر، ودور غير مباشر (متوسط)؛ "يقوم المكوّن السياقي بدور مباشر حين يتعلّق دون واسط بأحد مستويات المكوّن النحوي الأربعة، كأن يتدخل السياق المقامي والسياق المقالي في انتقاء القوة الإنجازية أو الوظائف التداولية (المحور، البؤرة...)، وتدخل السياق العام في انتقاء الوحدات المعجمية والمكونات الصرفية والتركيبية، ويقوم المكوّن السياقي بدور غير مباشر حين يتعلّق بواسطة، بأحد مستويات المكوّن النحوي الأربعة؛ كأن تنتقي المحدّدات السياقية المقامية (أو المقالية) ثم تنتقي البنية الصرفية -التركيبية وفقاً للوظيفة التداولية الواردة في المستوى العلاقي²⁸."

واللافت للإنتباه في السياق ذاته أنّ التصورين الأنثروبولوجي والوظيفي يلتقيان في أمرين: الأمر الأول الممثل في العناية بالمكوّن السياقي وتمثّل كيفية اشتغاله في التصور الوظيفي تلقتي وفرضية الأنثروبولوجيين القائلة بوجود أبعاد للكلام، لا يمكن إظهارها إلا عند دراسة ما يفعله الناس حقاً باللغة في استعمالهم للكلمات والصمت، وحركة الجسم، بشكل ينسجم مع سياق الكلام الذي تقال فيه هذه الإشارات²⁹، والأمر الآخر مفهوم "الفعل الخطابي" -الذي حدّد ما صدقه بناءً على المعيار الوظيفي- الذي يلتقي وتصوّر الأنثروبولوجيين للكلام على أنّه عمل اجتماعي، يؤثر في طريقة وجودنا في العالم وفي الإنسانية في النهاية³⁰.

4. الاكتساب اللغوي: الاقتراب من الاجتماعي والنأي عن العطري.

تقوم المقاربة الوظيفية في نظرية النحو الوظيفي على مبدأ أساسي مفاد أنّ التواصل الوظيفية الأولى للغة، وأنّ رصد خصائص العبارات اللغوية يتم في ضوء وظيفتها التواصلية؛ كون اللغة وسيلة يحقق بها الإنسان أغراضاً ما، تخصّ التفاعل الاجتماعي بين الكائنات البشرية فالإتزام الوظيفيون مند منظريه الأوّل (سيمون دك 1989-1997) على أنّ التداول هو الإطار العام الذي ينبغي أن يدرس داخله الدلالة والتركيب، إذ يجب

مختبرة فرضياته في مقارنة السلوك التواصلية بشكل عام،
والسلوك اللغوي بشكل خاص.

- تفعل التحليل الأنثروبولوجي من قبل اللسانيين
الوظيفيين جعل النظرية النحوية الوظيفية تتمتع بكفاءة
علمية شمولية، من شأنها تبرز حقائق الوسائل التواصلية
الإنسانية.

- مؤشرات تفعيل التحليل الأنثروبولوجي في نظرية النحو
الوظيفي كثيرة بجمالها في الآتي:

- عدّ اللغة نشاطا اجتماعيا وثقافيا إنسانيا يؤدي وظيفة
التواصل، وضرورة البحث في كيفية التواصل باللغة بدل
الاكتفاء بالكشف عن خصائصها.

- مقارنة نسق استعمال اللغة في ضوء أبعادها الاجتماعية
والثقافية، وما يمتدّ عنه من صياغة نموذج مستعمل اللغة
الطبيعية، مكوّن من خمس قوالب: القالب النحوي والقالبان
الاجتماعي والثقافي، والقالب المعرفي، والقالب المنطقي.

- مقارنة اللغة الطبيعية في إطارها العام "التواصل" كونها
نسقا من أنساقه، تتعالق فيه وأنساق أخرى.

- تتمتع النظرية الوظيفية بكفاية إجرائية، قوامها التأطير
النظري والمنهجي، لمختلف أنساق التواصل اللغوية وغير
اللغوية، داخل القطاعات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية
في إطار نظرية لسانية واحدة، تهدف إلى فك شفرة التواصل،
بمعاينة أساليبه في المجتمع، والكشف عن أهم مشكلاته.

- العناية التدريجية بالمكون السياقي -من حيث الصورة-
وتقليص الاهتمام بالمكون البنوي، وتقديم تصوّر لمقومات
المكوّن السياقي وكيفية اشتغاله،

- مفهوم الفعل الخطابي الذي حدّد ما صدقه ناء على
المعيار الوظيفي الذي يلتقي وتصور الأنثروبولوجيين للكلام على
أنه اجتماعي.

- استناد تفسير ظاهرة الاكتساب اللغوي إلى الأساس
الفطري، نظرا لعجز تفسير الظاهرة من منظور بيولوجي
فحسب.

- * بالرغم من تمايز المقاربتين الصورية والوظيفية للغات الطبيعية، إلا أنهما تلتقيان في بعض المناحي:
- موضوع المقاربة الصورية والمقاربة الوظيفية هو اللسان الطبيعي.
 - الهدف من الدراسة في كلتا المقاربتين وضع نحو كلي يستقطب جميع اللغات على اختلاف أنماطها.
 - تسعى كلتا المقاربتين إلى وضع نموذج صوري للغات الطبيعية كفيل بتمثيل مختلف الظواهر اللغوية الموصوفة.
 - تندرج الأنحاء الصورية والأنحاء الوظيفية ضمن "أنحاء القدرة" وليس "أنحاء إنجاز" إذ تعينان بقدرة المتكلم أي معرفته باللغة التي تخول له استعمالها في مختلف المواقف التواصلية.
 - تفرد كلتا المقاربتين مستويات للتمثيل للجوانب التركيبية والدلالية والتداولية، ينظر: أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية-مدخل نظري-، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، بيروت، لبنان، 2010، ص ص14-15.
 - ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، ص ص15-16.
 - * تعد المقاربة التداولية وما توصل إليها من نتائج مرجعاً من مراجع بناء وصوغ نظرية النحو الوظيفي، ينظر: أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، الدار العربية ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، الرباط، المغرب، الجزائر، ص ص18-19.
 - 1- أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، ص 55.
 - ** أحال سيمون ديك، الوظائف الست لجاكسون إلى وظيفة التواصل، ينظر: أحمد المتوكل، التركيبات الوظيفية، قضايا ومقربات، دار الأمان، ط1، الرباط، المغرب، 2005، ص 27.
 - *** الوظيفة التمثيلية هي الإحالة على واقع، أو واقع خارجي، أو داخلي مرتبط بذات أحد المتحاطين.
 - **** الوظيفة العلاقية: هي إتخاذ دور من الأدوار الاجتماعية بالنسبة للمخاطب تؤدّي دور المخبر أو السائل أو دور الأمر.
 - ***** الوظيفة النصية: تنظيم الخطاب بحسب مقتضيات مقام إنجازه.
 - 2- أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، ص 57.
 - 3- ينظر: كلود ليفي ستراوس، الأنثروبولوجيا البنيوية، تر: مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د. ط، دمشق، 1977، ص 20.
 - 4- نور الدين بنخود، دليل الدراسات البنيوية العربية في اللغة والأدب، مركز دراسات اللغة العربية وأدائها، د. ط، د. ت، ص 14.
 - 5- ينظر: كلود ليفي ستراوس، الأنثروبولوجيا البنيوية، ص 20.
 - 6- محمد الهاشي، نظرية النحو الوظيفي والتواصل اللغوي، ضمن كتاب اللسانيات الوظيفية، النظرية والنماذج والمقاربات، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2020، ص 490.
 - 7- ينظر: كلود ليفي ستراوس، الأنثروبولوجيا البنيوية، ص ص91-92.
 - 8- ينظر: ألسندرو دورنتي، الأنثروبولوجيا، تر: فرانك درويش، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، لبنان، 2013، ص 23.
 - 9- أضاف أحمد المتوكل الملكة الشعرية التي تختص بإنتاج وتأويل العبارات المجازية، وأضاف البوشيخي الملكة التخيلية التي تختص في بناء صور افتراضية ووقائع متخيلة لتحقيق أغراض تواصلية محددة، ينظر: هاجر محمودي، نحو تفسير وظيفي لبؤرة المقابلة باللغة العربية، اللسانيات الوظيفية، النظرية والنماذج والمقاربات، ص 494.
 - 10- ينظر: أحمد المتوكل، المنهج الوظيفي في البحث اللساني، كلمة، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، ط1، تونس، المغرب، الجزائر، بيروت، 2016، ص 387، وينظر: أحمد المتوكل، السياق وبناء النماذج في نظرية النحو الوظيفي نحو الخطاب المعيار والموسّع، اللسانيات الوظيفية، النظرية والنماذج والمقاربات، ص 41.
 - 11- أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان للنشر والتوزيع، د. ط، الرباط، المغرب، 2001، ص 38.
 - 12- ينظر: المرجع نفسه، ص 38.
 - 13- ينظر: المرجع نفسه، ص 61.
 - 14- ينظر: أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص 61.
 - 15- ينظر: المرجع نفسه، ص 61.
 - 16- ينظر: المرجع نفسه، ص ص36-37.
 - 17- أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص ص62-63.
 - 18- فهد ابن مسعد اللّهذي، الكفاءة التواصلية بين اللسانيات والتراث العربي، لسانيات النص وتحليل الخطاب، دار كنوز المعرفة، ط1، عمان، الأردن، المجلد 1، 2013، ص 480.
 - 19- المرجع نفسه، ص 480.
 - 20- أحمد المتوكل، الخطاب الموسّط، دار الأمان، منشورات الاختلاف، ط1، الرباط، المغرب، الجزائر، 2011، ص 19.
 - 21- ينظر: المرجع نفسه، ص 60.

-
- 22- ينظر: أحمد المتوكل، التركيبات الوظيفية، ص-ص 55-72.
- * نموذج سيمون ديك (1978).
- ** نموذج سيمون ديك (1997).
- *** يضم النموذج ما بعد المعيار عديد النماذج الوظيفية منها: النحو الوظيفي المتنامي (ماكزري 1998)، ونحو الخطاب الوظيفي (ماكزري 1998)، ونحو الطبقات القالبي (المتوكل 2003)، ونحو الخطاب الوظيفي (هنخلد وماكزري 2008)، ونحو الخطاب الوظيفي الموسّع (المتوكل 2011).
- 23- أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، ص 31.
- 24- ينظر: أحمد المتوكل، الخطاب المتوسط، ص 54.
- 25- أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، ص-ص 32-33.
- 26- ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، ص 34.
- 27- ينظر: المرجع نفسه، ص-ص 37-38.
- 28- ينظر: المرجع نفسه، ص 38.
- 29- ألساندرو دورانتي، الأنثروبولوجيا الألسنية، ص 33.
- 30- الأنثروبولوجيا الألسنية، المرجع نفسه، ص 33.
- 31- عزيز العماري وعبد الرحمان رحموني، القدرة التواصلية وإشكال تمثيل البنية التداولية، اللسانيات الوظيفية، النظرية والنماذج والمقاربات، ص-ص 326-327.
- 32- ينظر: أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، دار الأمان، ط1، الرباط، المغرب، 2006، ص-ص 35-36.
- 33- ينظر: كلود ليفي ستراوس، الأنثروبولوجيا البنيوية، ص 407.